بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي وهب العربية صلاحية الزمان والمكان , وامتَنَّ عليها بنزول قرآنه بها فصارت حديث الركبان , والصلاة والسلام على منْ عالج بفصاحته سقم الألسنة فصالت وجالت في ميادين البيان–محمد بن عبد الله–وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد ،،،

فقد كانت اللغة العربية ثريَّة برجالها قديمًا , ومازالت بهم كذلك حديثًا , وبهؤلاء وهؤلاء يكتمل الصرح ويشتد , وتظل الصورة كأبدع ما يكون تمثل عنوانًا للماضي والحاضر والمستقبل .

وقد كان الإمام أبو جعفر المالقي من أبرز علماء القرن السابع الهجري صاحب الرؤى البصيرة , والمصَّنفات العديدة , وضع نصب عينه حال اللغة العربية فتفيأ في ظلالها , وصال وجال في ربوعها , وعالج كثيرًا من قضاياها , فأثمر ثمارًا نضرة آتت أكلها فكان منها هذا الإنجاز المسمَّى بـ **" رصف المباني في شرح حروف المعاني "** .

وهو كتاب يحمل عنوان معاني الحروف في التراث العربي , وخَصَّها بالذكر لكونها "أكثر دورًا , ومعاني معظمها أشدَّ غورًا , وتركيب أكثر الكلام عليها , ورجوعه في فوائده إليها[1]".

وللحروف العربية أهمية خاصة في التراث العربي , حيث يقول المرادي : " فإنَّه لما كانت مقاصد كلام العرب , على اختلاف صنوفه , مبنيًّا أكثرها على معاني حروفه , صُرِفَت الهِمَمُ إلى تحصيلها , ومعرفة جملتها وتفصيلها ، وهي مع قلتها , وتيسُّر الوقوف على جملتها , قد كثر دورها , وبعدُ غورها , عزَّت على الأذهان معانيها , وأبت الإذعان إلا لمن يعانيها[2] " .

---

(1) رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي ، تحقيق . أحمد محمد الخراط صـ 2 – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1394هـ .

(2) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ، تحقيق . د . فخر الدين قباوة , محمد نديم فاضل صـ 19 –دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1403هـ - 1983م .

وقد صُنِّفَت مؤلَّفات كثيرة في معاني الحروف منها : اللامات لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي , ومنازل الحروف لأبي الحسن علي بن عيسى الرُّماني , والأزهية في علم الحروف لأبي الحسن علي بن محمد الهروي , ومعاني الحروف لعبد الجليل بن فيروز الغرنوي , والجنى الداني في حروف المعاني لبدر الدين بن الحسن بن قاسم المرادي , ومعاني الأدوات والحروف لابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر الحنبلي , ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام عبد الله بن يوسف الأنصاري . السابق صـ 4 .

" والواقع أن جميع المحاولات التي سبقت المالقي كان ينقصها أمران ضروريان هما : الرصد والشمول , فلم تكن غاية هذه المحاولات رصد جميع معاني الأداة من ناحية , وشمول جميع الأدوات من ناحية أخرى , لذا كان لابد أن يكون أمام الدارسين مصنَّف يدرس حروف العربية على منهج فيه استقصاء وترتيب , ويستفيد من المادة المتفرقة , فيبوبها , ويجمع في كل باب ما يختص بكل حرف , ويذكر أقوال العلماء وما كان بينهم من مناقشات وجدال , وكان المالقي هو رائد هذه المحاولة[1] " .

وقد عبَّر المؤلِّف عن الهدف من تأليف هذا الكتاب بقوله : " فوجدت منهم مَنْ أغفل بعضها وأهمل , ومن تسامح في الشرح وتسهَّل , ومَنْ اختصر منها وأسهب , ومن ركَّب البسيط وبسط المركب , ومَنْ شتت ألفاظَها وعَدَّد , وأطال الكلام لغير فائدة ورَدَّد , فدعاني الغرض الخاطر , والرفيق العابر , أن أؤلِّفَ فيها كتابًا يشتمل على شرحها , وإيضاح ما خَفِيَ من بَرْحها[2] , ليشفى صدرُ الناظر فيه على المأمول , ويفيده إن شاء الله إن أخذه بالقبول[3]" .

فهو كتاب يحمل بين دفتيه عبق التراث العربي الخالد الذي قَدَّم الأقدمون من خلاله خلاصة جهدهم كأنموذج يحتذي به على مر العصور والأزمان , سمَّاه مؤلِّفه : " **رصف المباني في شرح حروف المعاني** " ليكون اسمه وفق معناه , ولفظه مترجمًا على فحواه[4] " .

ومع أن هذا الكتاب يتحدث عن معاني الحروف في العربية إلا أنه يحوي بين دفتيه كثيرًا من القضايا الصوتية الناتجة عن تلك التغيرات الطارئة على الأصوات في السياقات المختلفة ؛ فـ " الأصوات كلبنات البناء تتألف منها المقاطع والكلمات ثم تتكون الجمل , وهذا هو الوجود الحي لأصوات اللغة ... وإذا كانت دراسة الأصوات مفردة لها أهميتها , فإن دراستها عندما تتجاور – مكونة وحدة لغوية – أكثر أهمية : ذلك لأن للأصوات علاقاتها كتلك التي بين الأفراد والأسرة , يؤثر القوي فيها على الضعيف , ويتأثر البعض بصفات غيره وخصائصه[5] " .

---

(1) مقدمة المحقق في رصف المباني .

(2) البَراح : الظهور والبيان . لسان العرب لابن منظور الإفريقي . تحقيق . عبد الله علي الكبير وآخرين (ب رح) 1 / 245 – مطبعة دار المعارف .

(3) رصف المباني صـ 2 .

(4) السابق الصفحة نفسها .

(5) علم الصوتيات . د . عبد الله ربيع , د.عبد العزيز علام صـ 14 – المكتبة التوفيقية .

فالصوت اللغوي بلا شك له ملامحه المميزة في حالة السياق والتي قد تختلف عنه في حالة الإفراد , وذلك لما يتعرض له الصوت من مؤثرات تغير أحيانًا من طبيعته التي كان عليها " فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته موف حقه فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب ؛ لأنه ينشأ عن التركيب , ما لم يكن حالة الإفراد , وذلك ظاهر , فكم من يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب , وقوي وضعيف ومفخم ومرقق , فيجذب القوي الضعيف , ويغلب المفخم المرقق , فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب , فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصَّل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب[1] " .

ونظرًا لتلك الأهمية التي تحظى بها أصوات العربية أفردتها بالدراسة في هذا الكتاب تحت عنوان " **رصف المباني في شرح حروف المعاني لأبي جعفر المالقي . دراسة صوتية** ".

وقد عرضت في تلك الدراسة لحياة المؤلِّف في سطور من خلال تمهيد , ثم صنَّفتها إلى خمسة مباحث على النحو التالي :

المبحث الأول : الهمز والتخفيف .

المبحث الثاني : الإبدال .

المبحث الثالث :المماثلة والمخالفة .

المبحث الرابع : الإشباع والاختلاس .

المبحث الخامس : الوقف .

وبعد , فالله سبحانه وتعالى أسأل السلامة من كل خطل , والحفظ من كل زلل , وجزى الله عني خيرًا امرأً بصَّرني بعيوبي , وذكَّرني بغفلتي , فلله – سبحانه وتعالى – وحده العصمة , جلَّت قدرته وعلا شأنه ولا إله غيره , هو الموفق والمعين والهادي إلى سواء السبيل .

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[2] .

([1]) النشر في القراءات العشر لابن الجزري 1/ 214 , 215 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

([2]) سورة الممتحنة من الآية (4) .

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد

(حياة المؤلّف في سطور)

ذكرت كتب التراجم أن صاحب كتاب " **رصف المباني في شرح حروف المعاني** " هو الشيخ : أحمد بن عبد النُّور بن أحمد بن راشد المالقي المالكي النحويّ المقرئ , يكنى أبا جعفر , من أهل مالقة , ويعرف بيته بها ببني راشد ولا يعلم له نسبًا إذ لم يكتبه , وشُهر بابن عبد النُّور[1] .

والمَالِقي – بفتح الميم وكسر اللام وفي آخرها قاف – نسبة إلى مالِقة , وهي بلدة من بلاد الأندلس , وينسب إليها كثير , منهم عزيز بن محمد اللخمي المالِقي , وسليمان ابن سليمان المعافرى المالِقي[2] .

رحل من بلده مالِقة إلى سَبْتَة , ثم انتقل إلى الأندلس وأقرأ بوادي آشْ مدة ؛ وتردَّد بين المرية وبُرْجَة , يقرئ بها القرآن , وغير ذلك مما كان يشارك فيه , وناب عن بعض القضاة وقتًا , ودخل غرناطة أثناء هذا السفر .

وهب نفسه للعلم فأكب عليه بالدرس والتحصيل , فأصبح متعته الفريدة , وغايته الوحيدة , فجهل من أجل ذلك كثيرًا من أسباب الدنيا , وُصِف من خلالها بالبله والغفلة .

وله في ذلك حكايات كثيرة دائرة على ألسنة الثقات من الملازمين له وغيرهم , لولا تواترها لم يصدق أحد بها , منها : أنهم حاولوا طبخ لحم في بعض النُّزَه فذاق الطعام من المِلح

---

(1) ينظر : الإحاطة في أخبار غرناطة . لسان الدين بن الخطيب . حققه . محمد عبد الله عنان 1 / 203 – دار المعارف بمصر , وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري 1 / 77 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة 1402هـ - 1982م , وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . حاجي خليفة 1 / 908 – ط بيروت , وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للبغدادي 2 / 290 , 545 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان 1413هـ - 1992م , وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي 1 / 331 – دار الفكر – الطبعة الثانية 1399هـ - 1979م , ومعجم المؤلِّفين . عمر رضا كحالة 1 / 305 – مكتبة المثنى – دار إحياء الكتب العربية – بيروت .

(2) اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري . تحقيق . عبد اللطيف حسن عبد الرحمن 2 / 289 , 290 – منشورات محمد على بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1420هـ - 2000م .

obeikandl.com

بالمِغرفة , فوجده محتاجًا للملح ؛ فجعل فيه مِلحًا وذاقه على الفَوْر , قبل أن ينحلَّ الملح ويسرى في المَرَقة الأولى , فزاد ملحًا إلى أن جعل فيه قَدْر ما يَرْجُح اللحم , فلم يقدروا على أكله .

كان ضيق الحال فدخل المُرِّيَة , فوجدها صِفْرًا ممن يشتغل بالنحو , فأقام بها يشغل الناس فيه , فحسُنت حاله ... قال في النُّضَار : كان عالمًا بالنحو ؛ وكان لا يقرأ كتاب سيبويه , فكان أصحابنا إذا ذُكر يقولون : هل يقرأ كتاب سيبويه ؟ فيقال : لا , فيقولون : لا يعرف شيئًا .

فكان المالقي قَيِّمًا على العربية , إذا كانت جُلَّ بضاعته ؛ يشارك مع ذلك في المنطق على رأي الأقدمين , وعَرُوض الشعر , وفُرُوض العبادات من الفقه , وقَرْض الشعر , وكان له اعتناء بفَكِّ المُعَمَّى , والتَّنقير عن الُّلغُوز .

كان ذكي الصوت عند قراءة القرآن , خاشعًا به , أخذ القرآن قراءة على طريق أبي عَمْرو الداني , على الخطيب أبي الحسن الحجاج بن أبي رَيْحانة المَرْبلِّي , ولا يُعلم له في بلده شيخ سواه , إذ لم يكن له اعتناء بلقاء الشيوخ , والحمل عنهم .

فمن شيوخه : أبي عبد الله محمد بن يحيى بن على بن مفرّج المالقي , والخطيب أبي الحجاج يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن سعيد بن ريحانة الأنصاري المالقي المَرْبلِّي , وأبي الحسن بن الأخضر المقرئ العروضي .

وأما تلاميذه فلا يعرف منهم إلا أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي المعروف بأبي حيان .

وأما **عن مصنَّفاته** فقد ترك الكثير , منها :

(1) الحِلْية في ذكر البسملة والتصلية .

(2) جزء في العروض , وجزء في شواذه .

(3) شرح الكامل لأبي موسى الجُزُولى , مكون نحو المُوَطأ في الجِرْم .

(4) شرح مقرِّب أبي عبد الله بن هشام الفِهْرى المعروف بابن الشوَّاش , ولم يتم , انتهى فيه إلى همزة الوصل , يكون نحو الإيضاح لأبي علي .

(5) تقييد على الجمل غير تام .

obeikandi.com

(6) شرح الجمل الكبيرة للزجاجي في النحو .

(7) رصف المباني في شرح حروف المعاني .

وأما عن شعره فهو وسَط , بعيد عن طرفي الغثِّ , والثمين أبعد , وكان لا يتغنى به ولا يتكلفه , ولا يقصد قصده , وإن ذلك لعذر في عدم الإجادة . ومنه :

محاسن من أهْوى يضيق لها الشرحُ ... له الهمَّةُ العَلْياء والخلق السمحُ

له بهجة يَغْشَى البصائر نورُها ... وتَغْشَى بها الأبصار إن غَلَس الصبحُ

إذا ما تَرنَى فاللَّلحظ سَهْمٌ مُفَوَّقٌ ... وفي كل عُضْو من إصابته جُرْح

إذا ما انثنى زهوًا ووَلَّى تَبَخْتُرًا ... يغار لذاك القدّ من لينه الرمح

وقد تُوفِّي هذا العالم بالمرية يوم الثلاثاء السابع والعشرين لربيع الآخر من عام اثنين وسبعمائة , ودفن بخارج باب بجاية بمقبرة من تُرْبة الشيخ الزاهد أبي العباس بن مَكْنُون , وذلك بعد أن عَمَّر اثنين وسبعين سنة , حيث كانت ولادته في رمضان من عام ثلاثين وستمائة – رحمه الله آمين –[1] .

---

[1] ينظر : الإحاطة 1 / 204 : 209 .

obeikandl.com

obeikandl.com